محدودة جدا في الاصل فحسب ، بل ايضا لانه مقطوع عن الريف الفلسطيني ، الامر الذي جعله ضعيفا ، وبالتالي معتدلا ومتعاونا ومستندا في حدود واسعة على « الخارج » العربي · فاذا أضفنا الى هذا كون وعيه مشيخيا ، يتبدى لنا كم كان مغلولا السلاح العربي ، سواء ضد الانتداب ام ضد الصهيونية ، وذلك لان الوعي المشيخي عاجز ، لفواته ، عن صياغة استراتيجية وتكتيكات قادرة على مواجهة عدوين عصريين من جهة ، ومن جهة ثانية لانه كان قد فقد ، مع الحقبتين المملوكية والعثمانية بخاصة ، كل روح مقاومة للحاكم وقنن الفرار طريقا للخلاص · وفي كل الاحوال ، فان الوعي المشيخي للحركة الوطنية الفلسطينية وسم نضالها بثلاث سمات : ١) جعل طابع نضالها ومحرضه دينيا بالاحرى · ٢) اعطى هذا النضال طابع رد الفعل لا طابع الفعل ، وبالتالي افقده كل منظور مستقبلي ، استباقي · ٣) وجه حد النضال ضد الصهيونية بالاحرى لا ضد الانتداب البريطاني ، بل جعله موسوما بروح متعاونة معه خلال فترة جد مديدة ·

II

كيف فكرت ، وماذا فعلت الحركة الصهيونية لتحويل مشروعها الخاص باقامة دولة يهودية الى امر واقع Fait accompli ؟ وما هي الفروق بين اليشوف (اليهود المقيمون في فلسطين) وعرب فلسطين ، على الاصعدة السياسية ، الايديولوجية والمجتمعية ؟ وكيف اخذت تؤثر هذه الفروق على ميزان القوى اليهودي ـ الفلسطيني ، وصولا الى انقلابه لصالح اليشوف ؟

منذ البداية ، كانت الحركة الصهيونية تعتبر مشروعها في اقامة دولة يهودية شيئا واقعيا ، استنادا الى واقعة التأخر العربي ، التي جعلتها تتجاهل الشعب العربي في فلسطين : أرض بلا شعب لشعب بلا أرض · وبالتالي لو ان شعبا حديثايقطن فلسطين ما كان ليخطر ببال الحركة الصهيونية ان بامكانها السيطرة على فلسطين او على جزء منها · ومنذ البداية ايضا كان واضحا ان الاستراتيجية الصهيونية للسيطرة على فلسطين كانت مرتكزة على تصورات سياسية حديثة : (أ) العمل تحت المظلة الاستعمارية وكجزء من المد الاستعماري على العالم غير الاوروبي · ب) الاستناد الى دولة او اكثر لتحقيق المشروع الصهيوني · ج) عدم الاعلان عن الهد فالاخير (اقامة دولة يهودية) ، ولكن السير بتدرج وبثبات اليه : فكر بدولة اسرائيل دوما ، ولا تتحدث عنها ابدا · د) الوصول بالتدريج الى ميزان قوى محلي ، يهودي ـ فلسطيني ، يمكن من اقامة الدولة الصهيونية ·

اذا تأملنا الحلقة المركزية في الاستراتيجية الصهيونية ، المتمثلة بفتح ابواب الهجرة دوما وبدون قيود امام اليهود ، نراها متصلة اتصالا حميما بالهدف